

الفصل السادس ديناميات الجماعة

مقدمة

يعد موضوع ديناميكيات الجماعة أحد فروع علم النفس الاجتماعي، وموضوعها الرئيس هو الدراسة العلمية للجماعات الصغيرة، من حيث تكوينها، ونموها، ونشاطها وإنتاجها، وأدائها لوظائفها المختلفة، بهدف الوصول إلى القوانين العلمية التي تنظم هذه الجوانب، وما يرتبط بها من جوانب أخرى.

إن دراسة ديناميكية الجماعة هي الدراسة التي تتعلق بطبيعة التغيرات التي تطرأ على الجماعات الصغيرة نتيجة حدوث تغيرات ديناميكية في بعض أجزاء الجماعات الكبيرة التي تكون فيها الجماعات الصغيرة. غير أن المصطلح يشير بشكل عام إلى دراسة الجماعات الاجتماعية الصغيرة دراسة ديناميكية أي دراسة التحولات الاجتماعية المستمرة التي تطرأ عليها.

لقد أصبحت دراسات الجماعات الصغيرة متطورة وغنية عندما وضع كل من جارلس كولي وجورج زيميل أسس هذه الدراسة ومنهجها العلمي في مطلع هذا القرن العشرين.

مفهوم ديناميات الجماعة:

هي أحد فروع علم النفس الاجتماعي، و موضوعها الرئيسي هو "الدراسة العلمية للجماعات الصغيرة، من حيث تكوينها، و نموها، و نشاطها، وإنتاجها، وأدائها لوظائفها المختلفة، بهدف التوصل إلى القوانين العلمية المنظمة لهذه الجوانب، وما يرتبط بها من جوانب أخرى.

وقد بدأ الاهتمام بديناميات الجماعة منذ نهاية الثلاثينيات في القرن العشرين، ثم ازدهرت كمجال متميز بين مجالات علم النفس الاجتماعي، بعد أن أنشأ كيرت ليفين K.Lewin ولاميذه مركز بحوث ديناميات الجماعة في جامعة ميشيغان بالولايات المتحدة الأمريكية، عام 1945.

تعريف ديناميات الجماعة:

تشير كلمة دينامية في الأصل الاستقافي إلى معنى القوة عند اليونان، ترجع أغلب الدراسات استخدام كلمة دينامية الجماعات إلى "كورت ليفين" عام 1944 في مقال له حول العلاقات بين النظرية والتطبيق في علم النفس الاجتماعي.

أما "ميزيونوف" فقد تناول هذا المفهوم في كتابه "دينامية الجماعات" وعرفه بقوله: إن تعبير دينامية الجماعات، مأخذ في معناه الواسع. يهتم بمجموع المركبات والتطورات التي تتدخل في حياة الجماعات، وخاصة الجماعات "وجهها لوجه" أي التي يكون أعضاؤها جميعهم موجودين سيكولوجيا بالنسبة لبعضهم البعض، ويجدون أنفسهم على علاقة متبادلة وتفاعل تقديرى.

وتعتبر دينامية الجماعات حقلًا معرفيا يهتم بالكشف عن:

طبيعة الجماعات: من حيث الخصائص التي تميز بعض الجماعات عن الأخرى.

خصائص الجماعة: من حيث النشأة والنمو والعلاقات بين الأفراد أعضاء الجماعة، والعلاقات ما بين الجماعات والجماعات الأخرى المعاشرة لها.

تصنيف الجماعة: فقد وضع جارلس كولي الفروق الأساسية بين الجماعات الأولية والجماعات الثانوية.

أولاً: الجماعة الأولية بأنها جماعة صغيرة الحجم تتميز بعواطف وعلاقات اجتماعية متمسكة، وهي الجماعة التي تزرع المعايير الأخلاقية والقيمية الأساسية عند أعضائها وتلعب دوراً كبيراً في تشكيل سلوكهم وأخلاقهم ووضع أيديولوجيتهم في قالب معين.

كما أنها تساعد على إرساء قواعد الاستقرار والطمأنينة في المجتمع من خلال سيطرتها على وسائل الضبط الاجتماعي التي تدفع الأفراد على الالتزام بالقواعد السلوكية التي يقرها ويلتزم بها المجتمع. وقد اعتبر كولي العائلة من الجماعات الأولية الأساسية التي ينتمي إليها الأفراد تلقائياً، وكذلك النادي أو المجتمعات الخيرية أو الجماعات غير الرسمية التي يكونها الأفراد لسد حاجاتهم وإشباع رغباتهم.

ثانياً: أما الجماعات الثانوية فهي الجماعات الكبيرة التي يطلق عليها اسم المنظمات الاجتماعية كالجيش والقوات المسلحة، الجامعة والمصنع الكبير... الخ. والجماعات الثانوية حسب رأي كولي هي أصناف من الناس يتقيدون بنظام أخلاقي معين أو مقاييس سلوكية وأخلاقية تحدد طبيعة تعاملهم وعلاقتهم الواحد بالآخر. لكن العلاقات الاجتماعية في الجماعة الثانوية هي علاقات رسمية تعتمد على التعاقد أكثر مما تعتمد على العواطف والانفعالات السيكولوجية. والجماعة الثانوية تمثل بنقابة العمل، المصنع، الكلية، الجامع أو الكنيسة... الخ.

لقد اهتمت الأبحاث والدراسات الاجتماعية اهتماماً متزايداً بدراسة الجماعات الأولية، فقد قام أدورد شلز بتأليف كتابه (دراسة الجماعة الأولية)، وجورج زيمل في الكتابة والبحث عن نواحي العلاقات المجتمعية إذ أوضح طبيعة العلاقة بين الرئيس وتابعه في نطاق العمل ودرس مزايا الجمعيات السرية وبقية الظواهر الاجتماعية التي تأخذ محلها على مستوى المكروسسيولوجي.

وقد ازدادت أهمية دراسة الجماعات الصغيرة خلال الحرب العالمية الثانية بعدما أدركت المنظمات العسكرية للحلفاء أهمية الجماعة الصغيرة في رفع الروح المعنوية للجندي وبالتالي زيادة كفاءته العسكرية والقتالية. وأول من قام بهذا النوع من الدراسة علماء في الولايات المتحدة الأمريكية.

البحث،
بناء
اهداف
خرى.
اميات
بل
روف
وجه
اهر
لتي
وح
أو
ن

دّوافع تكوين الجماعة الصغيرة؛

تعد دراسة الدّوافع النفسيّة والاجتماعيّة من الموضّعات التي يهتم بها العلماء والباحثون في علم النفس الاجتماعي من حيث التّكوين ودوافع تكوينها أو الدّوافع التي تكمن وراء انتماء الأفراد إلى جماعات قائمة بالفعل. فالجماعات تكون بقيام علاقـة تفـاعـل بين شخصـين أو أكـثـر، فـفي المـراـحل الأولى لـتـكـوـينـ الجـمـاعـةـ يتمـيـزـ هـذـاـ التـقـاعـلـ الـاجـتمـاعـيـ بـوـجـودـ قـدـرـ كـبـيرـ مـنـ النـشـاطـ،ـ والـقـيـرـ،ـ وـعـدـمـ الـاسـتـقـرـارـ،ـ حـيـثـ يـحـاـوـلـ الأـفـرـادـ إـقـامـةـ بـنـاءـ الـجـمـاعـةـ،ـ (ـأـيـ تـنظـيمـ الـعـلـاقـاتـ الدـاخـلـيـةـ فـيـماـ بـيـنـ الـأـعـضـاءـ)ـ وـتـحـدـيدـ أـهـدـافـ الـجـمـاعـةـ،ـ وـتـوزـيعـ الـأـدـوارـ بـمـاـ يـتـلـاءـمـ مـعـ قـدـراتـ مـيـوـلـ كـلـ عـضـوـ مـنـ أـعـضـائـهـ.

أما المراحل التالية فتتسـمـ فيـ تـارـيـخـ الـجـمـاعـةـ بـالـاستـقـرـارـ النـسـبـيـ،ـ حـيـثـ يـقـلـ التـغـاـيـرـ إـلـىـ حدـ ماـ،ـ وـلـكـنـهـ لاـ يـتـوقـفـ.ـ وـالـجـمـاعـاتـ تـخـتـلـفـ مـنـ حـيـثـ المـراـحلـ التـيـ تـمـ بـهـاـ،ـ مـنـذـ بـدـايـةـ تـشـكـلـهـاـ عـلـىـ اـكـتـمـالـ تـكـوـنـهـاـ،ـ بـاـخـتـلـافـ نـوـعـ الـجـمـاعـةـ وـنـوـعـ الـمـهـامـ الـمـكـلـفـةـ بـهـاـ.ـ وـلـكـنـهـ فـيـ كـلـ الـحـالـاتـ تـعـاـيشـ اـكـبـرـ قـدـرـ مـنـ التـغـاـيـرـ فـيـ مـراـحلـ الـمـبـكـرـةـ،ـ ثـمـ تـتـجـهـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ الـاسـتـقـرـارـ فـيـ الـمـراـحلـ الـلـاحـقةـ.

وتختلف تفسيرات الباحثين لدوافع تكوين الجماعات أو انتماء الأفراد إلى جماعات معينة، فالبعض يكتفي بتقديم تفسيرات عامة، بينما يركز آخرون بتقديم تفسيرات نوعية لدوافع تكوين الجماعات، حيث تتضمن تفسيراتهم تصنيفات مختلفة للحاجات النفسيّة التي يشعّبها الأفراد من خلال عضويتهم في الجماعة.

ومن التفسيرات العامة، ما قدمه كل من تيبوت Thibaut، وكيلي Kelley الذي يشير إلى أن الأفراد ينضمون إلى الجماعات لإشباع حاجات خاصة، ولم يحدد في هذا التفسير، بشكل مفصل ما هي طبيعة تلك الحاجات، وقد أكد

الباحثان على أن الفرد يقيم الاشباعات التي يحصل عليها من الجماعة في ضوء محكين رئيسيين هما:

- 1) محك المقارنة الشخصي: ويعني أن الفرد يحافظ على عضويته في الجماعة التي تحقق له الحد الأدنى من الإشباع كما يتصوره هو، أي بمقارنة الاشباعات بمحك شخصي، فإما أن يقنع الشخص بالاشباعات التي توفرها له الجماعة فيرضى عن الجماعة، أو لا يقنع بما تمنحه من إشباع فينصرف عن الاشتراك في عضوية هذه الجماعة.
- 2) محك المقارنة بين البدائل: ويقصد به أن الفرد يقارن الاشباعات التي يحصل عليها من علاقة معينة، بكم ونوع الاشباعات التي يمكنه أن يحصل عليها من علاقة أخرى بديلة، ومن المعروف إن الفرد يسعى إلى العلاقة التي توفر له أعلى مستوى من الإشباع، ويستمر في الحفاظ عليها، ما لم تغلب عليها علاقة بديلة مع جماعة أخرى . وفي التفسيرات النوعية، اهتم الباحثون بتصنيف مصادر التدعيم، أو أنواع الاشباعات التي تتيحها الجماعة للأفراد، والتي تشجع على الانضمام إليها والحفاظ على عضويتهم فيها، ومنها أشكال الإشباع للدافع أو الحاجات النفسية ما يلي:

أ- الحاجة إلى الانتماء:

يؤكد الباحثون أن الإنسان كائن اجتماعي، ولذا فهو في حالة سعي دائم إلى الانتماء و الارتباط بالأ الآخرين، بهدف خفض التوترات الانفعالية التي تعترىه عندما ينعزل أو ينأى عن الجماعة. وتكتشف دلائل واقعية متعددة أن حاجة الفرد إلى الانتماء تقوى . تعد بحوث سشتر Schchter من أهم البحوث التي أبرزت نوع التجمع في خفض درجة القلق، وهي بحوث قام فيها بتتويع مقدار التهديد الذي يعنيه أعضاء الجماعة، وتوصل سشتر Schchter وآخرون إلى إن التهديد المرتفع يسبب قدراً أكبر من الجاذبية لأعضاء الجماعة بالمقارنة بالتهديد المنخفض، وقد قام سشتر في إحدى تجاربه بإثارة قلق مجموعة من الطالبات بطريقة تجريبية معتمدة

بأن أوهمن بأنهن سوف يتلقين صدمة كهربائية، وقام بتوسيع درجة القلق، فأخبر بعض الطالبات بأن الصدمة ستكون مؤلمة، غير أنها لن تحدث أثرا جسديا دائميا (مجموعة القلق المرتفع)، وأخبر المجموعة الثانية بأن الصدمة ستكون خفيفة ولن تحول دون استمتاعهن بالتجربة (مجموعة القلق المنخفض).

كما أخبر الطالبات في كلتا المجموعتين، بضرورة الانتظار لمدة عشر دقائق قبل تقديم الصدمات، وخيرهن بين الانتظار بمفردهن، أو مع بعضهن البعض، وكشفت التجربة أن 62.5% من الطالبات المتوقعات للصدمة المؤلمة فضلاً بالانتظار معاً، في مقابل 33.3% فقط من الطالبات المتوقعات للصدمة الخفيفة، وبالتالي تؤكد هذه التجربة أن الأفراد يتجمعون معاً بهدف خفض القلق، وإن موافق الشدة تزيد من الرغبة في الصحبة. وقد افترض ستر، فيما بعد أن هذا الميل إلى التجمع يرجع إلى رغبة الأفراد في عقد مقارنات اجتماعية بينهم وبين الآخرين عندما يواجهون حالات انتفالية جديدة أو غير مألوفة، أو عندما يتصرف الموقف بالغموض، وقد تحقق من صحة فرضيته هذه بعد أن أجرى تجربة أخرى أخبر فيها كل المبحوثين بأنهم سوف يتعرضون لصدمة كهربائية شديدة. خير بعضهم بين الانتظار بمفردهم أو مع زملاء لهم يمررون بالتجربة نفسها، وخير البعض الآخر بين الانتظار بمفردهم أو مع طالب لا يمر بتلك التجربة، وإنما تصادف وجوده في المكان الذي تجري فيه الدراسة، وبيّنت النتائج أن المبحوثين في الظرف الأول فضلاً عن الانتظار مع زملائهم الذين يمررون بظروف مماثلة عن الانتظار بمفردهم، أما في الظرف الثاني فقد فضل المفحوصون الانتظار مع شخص لا تتشابه حالتهم الوجدانية معه.

وتشير دراسات أخرى إلى أن الرغبة في المقارنة تتعدي حدود السمات المزاجية (الشعور بالقلق على سبيل المثال)، لتشمل القدرات العقلية أيضاً، بمعنى إن الأفراد قد يتجمعون معاً لكي يقارنوا بين قدراتهم وقدرات الآخرين.

وقد أجريت تجربة تم فيها توزيع (39) طالباً بطريقة عشوائية في ظرفين تجريبيين مختلفين، في أولهما قدمت للمبحوثين معلومات عن مستوى أدائهم. لمهمة تجريبية معينة، أما في الطرف الثاني فلم تقدم للطلاب معلومات عن مستوى أدائهم. ثم طلب من المبحوثين الانتظار لحين بدء الجزء الثاني من التجربة، وسمح لهم بالانتظار كما يشاءون، إما بمفردهم أو مع زملائهم وكشفت التجربة أن الطلاب الذين لم أتيحت لهم فرصة الاطلاع على مستوى أدائهم، فضلوا بدرجة أكبر الانتظار مع زملائهم، وذلك لرغبتهم في مقارنة أدائهم وقدراتهم بقدرات الآخرين.

ويفسر بعض الباحثين تلك الرغبة في عقد مقارنات اجتماعية بين الذات والآخرين بأنه في أوقات الأزمات، أو تحت وطأة الشعور بالعزلة تهتز ثقة الأفراد في قدراتهم على تحمل الضغوط، وهنا يصبح الشخص أكثر استعداداً للاعتماد على الآخرين، إما بهدف مقارنة نفسه بهم، والتحقق من صحة آرائه وتصرفاتها والتماساً للمساندة النفسية من جانبهم.

بـ- التجاذب بين أعضاء الجماعة:

ص ٢٣

يمثل التجاذب بين أعضاء الجماعة حاجة نفسية اجتماعية دافعة إلى تكوين الجماعة، ويشير التجاذب بين الأشخاص في معناه العام إلى "الاتجاه الإيجابي الذي يشعر به شخص ما، نحو شخص آخر، ويمكن أن يعرف التجاذب بأنه نمط خاص من الاتجاهات يتضمن توجهاً نحو، (أو بعيداً عن شخص ما)، ويمكن أن تكون وجهة هذا التجاذب إيجابية أو سلبية، أو محايضة، ويقوم هذا التجاذب (بوصفه اتجاهها) على ثلاثة مكونات رئيسية هي:

- (1) المكون المعرفي. ويتضمن المعتقدات والمعلومات عن الشخص المرغوب فيه.
- (2) المكون الوجداني ويتعلق بمشاعر الحب أو الكراهة نحو شخص معين.
- (3) المكون السلوكي. ويتبين من خلال الميل على الاقتراب أو الابتعاد عن الشخص موضوع هذا الاتجاه. وقد اهتم كثير من الباحثين بدراسة المحددات